

تفسير البحر المحيط

@ 432 أن قوله { وَأَقِيمُوا } التفات من الغيبة إلى الخطاب ويحسنه الخطاب في

منكم . وقال الزمخشري : { وَإِذْ أَخَذْنَا } معطوف على { أَطِيعُوا اللَّهَ }
{ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه . فاصل . وإن
طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول توكيداً لجوبها انتهى
..

وقرأ الجمهور { لَا تَحْسَبَنَّ } بقاء الخطاب والتقدير ، { لَا تَحْسَبَنَّ } أيها
المخاطب ولا يندرج فيه الرسول ، وقالوا : هو خطاب للرسول وليس بجيد لأن مثل هذا الحسان
لا يتصور وقوعه فيه عليه السلام . وقرأ حمزة وابن عامر لا يحسن بالياء للغيبة ،
والتقدير لا يحسن حاسب ، والرسول لا يندرج في حاسب وقالوا : يكون ضمير الفاعل للرسول
لتقدم ذكره في { وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } قاله أبو عليّ والزمخشري وليس بجيد لما
ذكرناه في قراءة التاء . وقال النحاس : ما علمت أحداً من أهل العربية بصرياً ولا كوفياً
إلاّ وهو يخطئ قراءة حمزة ، فمنهم من يقول : هي لحن لأنه لم يأت إلاّ بمفعول واحد ليحسن
، وممن قال هذا أبو حاتم انتهى . وقال الفرّاء : هو ضعيف وأجازه على حذف المفعول
الثاني وهو قول البصريين تقديره أنفسهم . و { مُعْجَزِينَ } المفعول الثاني . .
وقال عليّ بن سليمان : { الَّذِينَ كَفَرُوا } في موضع نصب قال : ويكون المعنى ولا
يحسن الكافر { الَّذِينَ كَفَرُوا } مُعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ . وقال الكوفيون : {
مُعْجَزِينَ } المفعول الأول . و { فِي الْأَرْضِ } الثاني قيل : وهو خطأ وذلك لأن ظاهر
في { الْأَرْضِ } تعلقه بمعجزين ، فلا يكون مفعولاً ثانياً . وخرج الزمخشري ذلك متبعاً قول
الكوفيين . فقال { مُعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ } هما المفعولان والمعنى لا يحسن الذين
كفروا أحداً يعجزا في الأرض حتى يطمعوا لهم في مثل ذلك ، وهذا معنى قوي جيد انتهى .
وقال أيضاً : يكون الأصل : لا يحسنهم { الَّذِينَ كَفَرُوا } مُعْجَزِينَ } ثم حذف
الضمير الذي هو المفعول الأول ، وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت
كالشيء الواحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث انتهى . وقد ردنا هذا التخريج في آل
عمران في قوله { لَا * يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ * يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا } في قراءة
من قرأ بياء الغيبة ، وجعل الفاعل { الَّذِينَ يَفْرَحُونَ } وملخصه أنه ليس هذا من
الضمان التي يفسرها ما بعدها فلا يتقدر لا يحسنهم إذ لا يجوز طنه زيد قائماً على تقدير
رفع زيد بظنه . .

{ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ } قال الزمخشري : عطف على { لَا تَحْسَبَنَّ } كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون ا [{ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ } والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم انتهى . وقال صاحب النظام لا يحتمل أن يكون { وَمَأْوَاهُمُ } متصلاً بقوله { لَا تَحْسَبَنَّ } الذين كفرواواً مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ } بل هم مقهورون { وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ } انتهى . واستبعد العطف من حيث إن { لَا تَحْسَبَنَّ } نهي { وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ } جملة خبرية فلم يناسب عنده أن يعطف الجملة الخبرية على جملة النهي لتباينهما وهذا مذهب قوم . ولما أحسن الزمخشري بهذا قال : كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون ا [فتأول جملة النهي بجملة خبرية حتى تقع المناسبة ، والصحيح أن ذلك لا يشترط بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضاً على بعض وإن لم تتحد في النوعية وهو مذهب سيبويه . . .

2 ({ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَىٰ هِهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعَضُكُمْ عَلَىٰ بَعَضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِّن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَّيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا عَمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَيْكَ إِلَّا عَرَجٌ حَرَجٌ وَلَا عَلَيْكَ الْهُرُوسُ حَرَجٌ وَلَا عَلَيْكَ الْغُلَامُ أَن تَأْكُلُوا مِّن بَيْتُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَصَفَاتِهِنَّ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَائِفَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }) 2 .

روي أن عمر بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (غلاماً من الأنصار يقال له مدلج ،
وكان نائماً فدق عليه الباب ودخل ، فاستيقظ وجلس فانكشف منه شيء فقال عمر : وددت أن
الله نهى أبناءنا ونساءنا عن